الدولة الرستمية

حكمت الدولة الرستمية مناطق من الجزائر قديمًا، وكما كتب على الهضبة العليا لشمال الجزائر فإنها حكمت بين عامي 761-909 للميلاد، وأسسها أتباع الفرع الإباضي للخارجية، ونشأت أساسًا لمعارضة السلالة العباسية واحتجاجًا على توجهها الشرقي، وحكام الدولة الرستمية كانوا منحدرين من عبد الرحمن بن رستم، فارسي الأصل، واشتهرت المملكة بالتسامح الديني والتعلم العلماني ورفضها للتزمت الديني الذي دعا له الخوارج، واشتهرت بالتجارة عبر الصحراء، ومن الجدير ذكره أن عاصمة المملكة اسمها تاهارت، وقد سقطت المملكة في عام 909م على يد الفاطميين.

1- نشأة الدولة الرستمية :

أسست الدولة الرستمية بـ"تيهرت" سنة 777 ميلاديًا وبقيت حتى سنة 909 ميلادية، عرفت الجزائر خلال هذه الفترة ازدهارًا فكريًا واقتصاديًا وتجاريًا كبيرًا.

تأسست هذه الدولة على يد عبد الرحمن بن رستم فرخزاد ويختلف المؤرخون في نسبه، فيرجعه ياقوت الحموي إلى مولى عثمان بن عفان وهو بهرام أحد أبناء كسرى يزدجرد، أما البكري وابن حزم فيرجعان نسبه إلى سلالة ملوك الأكاسرة الساسانيين الفرس، فيما يقول ابن خلدون إنه من أبناء رستم قائد الجيش الفارسي المشهور في معركة القادسية.

تقول كتب التاريخ، إن تأسيس الدولة جاء بعد أن فرّ عبد الرحمن بن رستم من القيروان باتجاه تيهرت بالمغرب الأوسط (الجزائر)، عقب طرده من الأغالبة العباسيين، حيث توافد عليه مجموعة من العلماء من طرابلس وجبل نفوسة مكان انتشار المذهب الإباضي، ثم بويع له بالإمامة نظرًا لعلمه ومكانته وكان ذلك عن طريق الشورى.
وتعود صلة عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حسب المؤرخ التونسي عبد الرحمن بن خلدون، إلى طوالع الفتوحات الإسلامية، فقد ذهب عبد الرحمن بن رستم إلى إفريقية (تونس) وهو طفل فترعرع بالقيروان، فيما يقول الشماخي إن عبد الرحمن بن رستم سافر مع أمه إلى القيروان إثر زواجها من رجل هناك بعد أن توفي زوجها رستم بن بهرام.

عقب وفاته، تولى خلافة عبد الرحمن بن رستم ابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الذي بقي حاكمًا للدولة الرستمية ما يقارب الـ20 عامًا ليتولى من بعده ابنه أفلح بن عبد الوهاب الذي حكم الدولة الرستمية لأكثر من 50 عامًا ومن ثم تولى حكم الدولة مجموعة من الأمراء كان آخرهم اليقظان بن أبي اليقظان.

2- اتخاذ الفكر الإباضي فكرًا لها:

في فترة حكم الدولة الرستمية، علا شأن الفرقة الإباضية، وهي إحدى فرق الإسلام القريبة من المذهب الشيعي، أطلق عليه هذا الاسم نسبةً إلى عبد الله بن إباض التميمي، وقد دخل مذهب الإباضية إلى إفريقية في النصف الأول من القرن الثاني، وانتشر بين البربر حتى أصبح مذهبهم الرسمي.

3-العلاقات الخارجية للدولة الرستمية 290-160 هجري، 761-909 ميلادي:

مع الدولة العباسية:

حكم العلاقة بين العباسيين والرستميين عاملان اثنان هما: العداء السياسي والخلاف المذهبي، وقد تمثل هذا العداء في محاولة الخلافة العباسية القضاء على الدولة الرستمية في مهدها عن طريق ولاة بني العباس في مصر (محمد بن الأشعث أو في افريقية المهالبة أو الأغالبة) اللذان سالما وهادنا الرستميين فيما بعد، ومنذ ذلك الحين لم يحاول ولاة إفريقية بعد ابن الأشعث مهاجمة هذه الدولة الناشئة التى قويت، ما جعل روح بن حاتم يعقد هدنة مع عبد الرحمن بن رستم سنة (171 ه أو 168م) ، كما عقد هدنة مماثلة مع إبنه عبد الوهاب، واعتبرت هذه المهادنة والموادعة شكلا من أشكال الاعتراف الضمني العباسي بالوجود الرستمي في المغرب الأوسط.

علاقة الرستميين مع مصر:

مرت علاقة الرستميين بمصر على مرحلتين، الأولى سلمية لتواجد جالية إباضية بمصر إلى جانب دور التجارة والتجار في ربط أواصر الأخوة بين الإقليمين، فقد كانت قبائل هوارة ونفوسة وقبائل طرابلس تتولى هذه المهمة فكانت تجوب صحراء سرت ذاهبة آيبة بين المدن الرستمية في المغربين الأدنى والأوسط وبين مصر. كما جمعت بين الإقليمين علاقات ثقافية بين علماء مصر وإخوانهم الرستميين خاصة عن طريق الحج، وكان إباضية المغرب يبعثون إلى إخوانهم يستفتونهم في النوازل. أما الثانية فعرفت شيئا من التوتر خاصة في عهد الطولونيين بداية من سنة 256هـ/878م.

علاقات الرستميين بالأمويين في الأندلس:

قامت علاقات من المودة والصداقة بينهما، فقد كانت السفن تترد بين مرسى وهران والمرية حاملة المتاجر والعلماء والمسافرين وقد جمعت عدة عوامل بين أمراء بني أمية في قرطبة وأئمة الرستميين في تاهرت حيث أن خطرا واحدا كان يهددهم وهو الدولة العباسية.

ويعتبر احد المؤرخين أن قيام الدولة الرستمية أطال في عمر الأمويين بالأندلس، كما أن تاهرت كانت الجسر الذي يصل دولة بني أمية في الأندلس بالمشرق لذلك وجدنا الأمراء الأمويين يهادنون الرستميين ويتوددون إليهم.

كما يذكر بعض المؤرخين أن العلاقات تواصلت بالمودة والصداقة إلى درجة أن الإمام أبا اليقظان محمد بن افلح "كان لا يقدم ولا يؤخر في أموره ومعضلاته إلا عن رأي الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط 238 – 273هـ " وكذلك بالنسبة لدولة بني مدرار.

علاقات الدولة الرستمية بولاة إفريقية:

تميزت هذه العلاقة بالتوتر حينا وبالحرب حينا آخر، خاصة لما استنجدت قبيلة هوارة بالإمام عبد الوهاب سنة 196هـ ضد أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب، وهو ما أدى بعبد الوهاب إلى ضرب حصار على طرابلس انتهى بعقد هدنة بين الرستميين والأغالبة، تقضي بأن يحتفظ الأغالبة بمدينة طرابلس والساحل بينما ترجع الضواحي والصحراء إلى الرستميين.

وتواصل الصراع بين الدولتين خاصة لما بنى الأغالبة حاضرة بالقرب من تاهرت سموها العباسية، ولما انتهوا من بنائها سنة 227هـ قام الإمام أفلح بإحراقها ورغم ذلك لم يقم الأغالبة بأي رد فعل خوفا من الرستميين.

علاقتهم بالأدارسة:

لم تذكر المصادر ولا المراجع عن حروب بينهم وبين الأدارسة بفاس رغم اختلاف المذاهب بينهما. والخلاف الوحيد الذي كان بين الدولتين دار حول إقليم تلمسان.

علاقة الدولة الرستمية بدولة بني واسول المدرارية بسجلماسة:

تميزت بعلاقة من المودة والتآخي وحسن الجوار وتوجت بعلاقة مصاهرة (مدرار بأروى بنت عبد الرحمن بن رستم) وكان بينهما ولد اسمه ميمون الذي كان والده يؤثره على بقية بنيه، كما لعب ميمون هذا دورا هاما في تاريخ دولة بني واسول بسجلماسة.

علاقتها بالسودان:

تميزت بعلاقة حسن الجوار وبعلاقة تجارية وهدايا بين الطرفين، وقد كان الرسول بين الطرفين هو محمد بن عرفة الذي عرف بثقافته ونبوغه ولطفه، وهذا لما كان يجده التجار السودانيون من حسن معاملة في أسواق تاهرت .